# الفسيفساء والزجاج في العمارة الداخلية ودورها في المحافظة على الموروث والهوية الفلسطينية

# Mosaics and glass in interior architecture and their role in preserving heritage and Palestinian identity

**أ.د.م تغريد جمال الصغير**
**كلية الاداب جامعة الخضوري فلسطين**
**Assist.Prof. Dr. Taghreed Jamal Al-Saghir**
**Palestine Technical University – Kadoorie - (PTUK)**
taghreed.soughayar@ptuk.edu.ps

## مقدمة :

في الوقت الذي تعرض فيه الموروث والتراث الفلسطيني الى النهب والسحق في مناحيه المتنوعة والمتعددة، سعى المهتمون في الموروث في فلسطين للعمل على الاهتمام بكل ما هو مرتبط بالتاريخ الفلسطيني، سواء في الحياة الاجتماعية العادية والمتوارثة من مئات السنين، او من خلال ما تركه كموروث مادي شاهدا عليه العمارة والفنون التطبيقية، التي لا زالت حتى وقتنا الحالي وتتوارثها الاجيال .

وطبيعي ان يكون هناك مجموعة من المثقفين والفنانين والباحثين الذي تنبهوا الى هذا الارث العظيم، وبدأو العمل على دراسته وتوثيقه، وليس هذا فحسب، انما امتد ذلك لوضع جهات عالمية ودولية في صورة هذا الارث، الذي بات الخوف عليه من اولوياتهم، فبدأت رحلة مراسلة المنظمات العالمية والتي تهتم بمثل هذه الامور ومن اهمها اليونسكو، وهي منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم، وبعد سنوات من العمل الدؤوب ومع المنافسة الكبيرة من جهة، ومن جهة اخرى محاربة الاحتلال لتوثيق هذا الموروث الفلسطيني الخالص، وضعت اليونسكو بعض الحرف الفلسطينية على لائحة التراث العالمي ، ليكون لها الدور بذلك للمساعدة في تثبيت الحرف والفنون الفلسطينية، ونشرها على مستوى العالم، هذه الحرف التي ورثها الابناء عن الاباء والاجداد، ولتعزز فكرة غرس الانسان بالأرض وتقوية صلته بها، هذه الارض التي تعرضت ولا تزال للحروب والاستيلاء عليها من قبل الطامعين والغزاة[1].

لقد كان لفلسطين كبلد يتوسط العالم (شكل1) ما ميزها بنواحي عديدة لعبت الدور الاكبر في اخذ شكلا معينا في البنية الاجتماعية والاقتصادية والدينية، حيث سارت باتجاه يخدم هذا الوضع، ومع مرور الزمن اصبحت فلسطين عنوانا رئيسيا لأنشطة متنوعة، وجدت لتخدم الحياة على هذه الارض والتي اختارها الله لذلك ، ففلسطين ذات طبيعة جغرافية ومناخية متنوعة مما ساعد على تنوع المواد بها ، هذه المواد التي لعبت دورا كبيرا في تطور الحرف اليدوية، التي خدمت الانسان على هذه الارض من خزف وزجاج وجلود ومنحوتات خشبية ...الخ.

**خارطة فلسطين (شكل 1)**

**مصنع خزف الارمني ( شكل 2)**

وموضوعنا هنا الفسيفساء والزجاج كصناعة ارتبطت بالفكر والحياة على ارض فلسطين، فهي ليست صنعة تراثية جمالية فقط، بل شكلت واحدا من اهم رموز الثقافة والهوية الفلسطينية الوطنية، فهي صناعة تاريخية من ايام حكم الكنعانيين حتى وقتنا الحالي، فورثها الابناء عن الاباء وتوارثوها من جيل الى جيل. وتطورت صناعة الخزف والزجاج قبل 400 عام عندما بدأت عمليات ترميم المسجد الاقصى المبارك ايام الاتراك العثمانيين، وبدأت الصنعة بالانتشار بعد انشاء اول مصنع في القدس على يد رجل ارمني من عائلة كركشيان، وقد احترفت العائلة الصنعة من اربعة اجيال ماضية، وكان ذلك في العام 1922م.(شكل 2).

انتشرت الصناعة بعد ذلك وبدأت تزدهر في مدينة الخليل وبقيت كذلك حتى وقتنا الحالي ، واشتهرت عائلات كثيرة في هذا الصناعة منهم عائلة الشريف والنتشة والتميمي ، ليصل عدد المصانع في وقتنا الحالي الى خمس وعشرون مصنعا كبيرا وصغيرا، تشغل حوالي مائة عامل متخصص في هذا المجال من عمل القوالب وصبها الى الرسم على الاواني والى عمال متخصصين في شوي الفخار والاهتمام بالأفران ، وفي عصرنا الحالي عصر التقدم والازدهار، دخل لهذه الحرف فنانون متخصصون خريجوا معاهد متخصصة في التصميم الجرافيكي ، ليضيفوا تصميمات جديدة تواكب العصر وتطوره، ليتنوع هذا الانتاج ويلبي رغبات كافة الاذواق المرتبطة بالتراث والهوية. (شكل 3)

**تصميمات جديدة من الخزف (شكل 3)**

**اهمية الدراسة :** الخزف ومنه الفسيفساء، والزجاج وارتباطهما بالتاريخ الفلسطيني ودورهما في تعزيز الانتماء الوطني والحفاظ على الموروث، وربط الحرفتين في اعمال التصميم الداخلي والديكور بإضافة قطع مميزة منها الى الفراغ اصيلة وتلبي حاجة العصر الحالي.

**مشكلة الدراسة :** الخوف من اندثار الحرفة بقيمتها المعنوية والتاريخية والانتاجية، لأنها تقع في تحدي كبير بسبب الاحتلال والعمل على طمس الهوية، والتي تعتبر الحرف واحدة من اهم ما يثبت حق الفلسطيني بارضه، وما تشكله هذه الحرف من دور في تعزيز الصمود وتشغيل الايدي العاملة المتخصصة.

**اسئلة الدراسة:** تعريف الخزف والفسيفساء وما هو دوره في العمارة الداخلي؟ الزجاج وتاريخه ودوره في العمارة الداخلية؟ كيف نحافظ على الموروث الثقافي والتاريخي؟ كيف لعبت الحرف اليدوية القديمة في تثبيت الهوية الفلسطينية وتعزيز الصمود على ارضها؟

**الكلمات المفتاحية :** الفسيفساء، الخزف، الزجاج، الموروث، الهوية، العمارة الداخلية.

## ABSTRACT:

At a time when the Palestinian heritage and legacy were being looted and crushed in its various and multiple aspects, those interested in the heritage in Palestine sought to work on caring for everything related to Palestinian history, whether in ordinary social life inherited from hundreds of years, or through what it left as a material legacy witnessed by architecture and applied arts, which still exist to this day and are passed down through generations. Naturally, there is a group of intellectuals, artists and researchers who have become aware of this great heritage, and have begun working on studying and documenting it. Not only that, but it has extended to informing global and international bodies of this heritage, which has become a priority for them to fear. So, the journey of corresponding with international organizations that care about such matters began, the most important of which is UNESCO, the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization. After years of diligent work and great competition on the one hand, and

on the other hand, fighting the occupation to document this pure Palestinian heritage, UNESCO has placed some Palestinian crafts on the World Heritage List, so that it can play a role in helping to establish Palestinian crafts and arts, and spreading them around the world. These crafts were inherited by sons from fathers and grandfathers, and to reinforce the idea of planting man in the land and strengthening his connection to it, this land

**Keywords:**
Mosaics and glass, interior architecture, heritage and Palestinian identity

## المحور الاول : الفسيفساء ودورها في العمارة الداخلية:

الخزف من الفنون التطبيقية المفعمة بالألوان الجذابة الاتية من وحي الطبيعية ، بدأ من قديم الزمان عندما صنع الانسان البدائي انيته من الطين الموجود على ضفاف الانهار، وتطورت الصناعة شيئا فشيئا حتى بات لا بد من تزيين الانية بالزخارف والالوان ، فتنوعت الاشكال والتصميمات وتطورت الصنعة حتى اصبحت على شكلها الحالي الذي نراه في البيوت من براويز وادوات الطعام والجداريات والتحف .. الخ[ii].

اتت صناعة الخزف من الشرق وغالبا من بلاد فارس وشرق اسيا ، وكانت حرفة اساسية عند الرافدين الذين سكنوا بلاد العراق، وبطبيعة سكنهم حول نهري دجلة والفرات ومع توفر الطينة الموجودة على جانبي النهر، ومن مبدأ "ابني بما تحت قدمك"، كان الطمي هو الخامة الاساسية، فصنعت منه الواح الرقم للكتابة وايضا قوالب لصب الطينة بداخلها لاستخدامها للبناء، صنعت ايضا الاختام وجاءت فكرة صناعة بلاطات صغيرة الحجم 1(سم *1سم) لونت واصبح يطلق عليها الفسيفساء، واجمل شاهد عليها هي بوابة عشتار التاريخية شكل(4)، وتفننوا في صناعة الانية المنزلية من صحون وقدور وكؤوس وغيرها لتشكل فيما بعد ومع التطور حرفة الخزف.

**بوابة عشتار شكل (4)**

انتشرت تقنية الخزف في كثير من البلاد، ووصلت الى بلاد الشام ومنها فلسطين، فأصبحت حرفة متوارثة يشتغل بها الافراد ويتفننوا في الصنعة، بذلك لم تقتصر على ما وصلت للبلاد من تقنية، انما بدأت بالتطور لتدخل في كثير من مجالات الحياة المختلفة من عمارة وفنون. فمع ابداع الحرفيون اعطى اهل البلاد اهمية كبيرة لهذا النوع من الفنون ، ليشكل بذلك نقطة تحول كبيره له، بحيث ذاع سيطه وانتشر على نطاق واسع[iii].

## اساليب تشكيل الخزف:

الاسلوب الاول وهو الخزف المستخدم للجدران وكان يطلق عليها القيشاني، وينسب الاسم الى مدينة قاشان، وهي احدى المدن الايرانية والتي اشتهرت بهذه الصنعة وبقي الاسم مرتبط بها حتى وقتنا الحالي. وفي بلاد المغرب اطلق عليه الموزاييك (شكل 5)، والذي استخدم لزيين الجدران والارضيات. وفي بلاد الشام والعراق اطلق عليه الفسيفساء والتي شاع استخدامها بكثرة من ايام البيزنطيين والذين استخدموها في الكنائس، وانتقلت بعدها لتزيين العمائر الاسلامية المتنوعة، وشاهد عليها ما زينت به قبة الصخرة الشريفة في القدس (شكل 6).

موزاييك مغربي (شكل 5)

فسيفساء قبة الصخرة الشريفة (شكل6)

انية خزفية (شكل7)

الاسلوب الثاني وهو الانية الخزفية مثالها المزهريات والكؤوس والصحون، وكان يتم دهانها بطرق مختلفة ، منها ما كان متعارف عليه بان يتم الدهان على قطعة الخزف المطلية اصلا بلون شفاف، وايضا طريقة الزخرفة المحفورة للخزف تحت الدهان شكل (7).

**بلاطات فسفساء مربعة شكل(8)**

تعتبر الفسيفساء من اهم مشتقات الخزف، وكلاهما يصنعان من الفخار، فهما من اهم فنون الزخرفة الجمالية التي ارتبطت بمفاهيم الحضارة العربية الاسلامية في اوج عظمتها، فالدولة الاسلامية كانت مترامية الاطراف، وحلت الديانة الاسلامية مكان الديانة المسيحية في كثير من البقع الجغرافية والتي كانت تنتمي في المفاهيم للحضارة البيزنطية، هذه الحضارة الشرقية التأثير اصلا ، كانت تستخدم الخزف والفسيفساء في تزيين كنائسها وقصورها، من هنا انتقل الفن بصورة طبيعية سلسة الى استخدامه في العمارة الاسلامية والتي بدأت عمارة دينية، فتغير المبدأ لكافة الفنون الى الفكر التجريدي البعيد عن المحاكاة للأصل.[iv]

من هنا ومن خلال ادوات الفنان المسلم المبتكر والخبير اصبح يحول فلسفة الفكر الاسلامي من خلال الالوان المتنوعة والمتناسقة الى الفنون المختلفة، والتي تاتي الفسيفساء متربعة على اعلى درجات سلمها، لتصنع صورة فنية جميلة من خلال قطع مكعبة صغيرة من خامات مختلفة موجودة اصلا في البيئة الفلسطينية ومنها الفخار الخزف الحجر الزجاج والصدف[v].

تعتبر الفسيفساء والتي ابدع المسلمون في صناعتها والتي تأتي على شكل بلاطات صغيرة الحجم شكل (8) مستطيلة مربعة مثمنة او سداسية او مثلثة الشكل يرسم عليها اشكال زخرفية متكاملة او جزء من الزخرف وترص بجانب بعضها البعض لتشكل في النهاية موضوع اللوحة، ويظهر الشكل العام لها، هذا وقد ارتبطت الفسيفساء بالعمارة الدينية سواء المسيحية او الاسلامية ، وموضوع الاشكال كان غالبا زخارف وحداتها اما نباتية او هندسية او حيوانية او خطية، وتلون بالوان ذات بريق منها الازرق والفيروزي وغيرها من الالوان المنسجمة.[1]

1

اشتهرت في فلسطين صناعة الفسيفساء في الاديرة خاصة الموجودة في مدينة اريحا، منها دير ابو حجلة[vi]، (شكل 9+10) فحتى اليوم هناك متخصصون مهرة في هذا المجال والذي يقوم عليه مدربين مهرة، ينتجوا اعمالا تخدم الكنائس بالدرجة الاولى، ليصنع جداريات تزين الحوائط، وزخارف فسيفسائية لتزيين الارضيات، وبعد انتشار الاسلام في فلسطين انتقل هذا الفن ليخدم المساجد والقصور، وابدعوا فيه من حيث الفكرة والتنفيذ وشاهدا على ذلك التحفة الفنية قبة الصخرة الشريفة، التي لا تزال شاهده على هذا اللون من الفنون[vii].

**مشغل فسفساء دير ابو حجلة (شكل9)**

**ارضية فسفساء صناعة دير ابو حجلة (شكل10)**

ومن اشهر النماذج لاستخدام الفسيفساء في العمارة الداخلية قبة الصخرة الشريفة، فهي تحفة فنية تتجلى فيها روعة العمارة والتطبيق الفعلي لأجمل ما تركه لنا الفن الاسلامي التطبيقي. تقع القبة الشريفة في مدينة القدس، وقد بنيت في العصر الاموي في فترة خلافة عبد الملك بن مروان، فالقدس كانت محط اهتمام المسلمين منذ ظهور الاسلام، فهي مسرى الرسول محمد عليه افضل الصلاة والسلام، واولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فالحرم القدسي نال النصيب الاكبر من اهتمام الخلفاء على مر العصور، ليتحول على مدار السنين الى تحفة فنية توثق تطور الحضارة العربية الاسلامية، فكان من دواعي اهتمام الخلفاء ان يتركوا بصمة او اثر ولو بسيط في هذه البقعة المباركة تخليدا لهم، فقد وصفها المستشرق الانجليزي (هايتر لويس) في مؤلفه الاماكن المقدسة: "أن مسجد الصخرة بلا شك من اجمل الابنية المزركشة الموجودة فوق البسيطة، لا بل اجمل الاثار التي خلدها التاريخ". فقد تفنن المعماري المسلم فيها بالعديد من الاساليب الفنية من الزجاج المعشق والصدف والرسم بالألوان الزيتية واعمال الخرط والخشب وايضا الفسيفساء، فكانت النماذج الفسيفسائية لأكبر دليل على ما عاشته الفترات الزمنية التاريخية الاسلامية من تطور وابداع، توزعت الاعمال الفسيفسائية في العقود وفي قاعدة القبة (رقبتها)[viii]، (شكل 11) من خلال قطع صغيرة الحجم واحجار مكعبة الشكل من خامات مختلفة من الزجاج والبلور والصدف بالوان مختلفة تتناغم مع بعضها البعض، لتشكل فيما بينها موضوع للوحة اية في الجمال، ويبلغ اجمالي المساحات من الفسيفساء في جامع القبة حوالي 1200 مترا مربعا، موزعا بين الارضيات والجدران والاسقف، والوانها ما بين الازرق والاخضر مضاف لها الوان الذهبي والفضي، وبتدرجات مختلفة، وتتخللها الزخرفة الخطية بنصوص من القران الكريم مكتوبة بالخط الكوفي، وتنوعت الوحدات الزخرفية والتي كان اغلبها نباتية من اشجار واغصان وقطوف بلح وعناقيد عنب وحبات رمان، وكل ذلك بأشكال مستطيلة مرة واهليجية

مرة اخرى وترص الحبيبات جنبا الى جنب كأنها لؤلؤا منثورا، وهذا دلالة على حياة العز والترف والتي تدل على غنى الدولة الاسلامية في ذلك الوقت، ليبرز من خلالها الشأن الرفيع والمكانة العالية[ix] .

**الزركشة في قبة الصخرة (شكل 11)**

## الفسيفساء في الديكور الحديث المعاصر

حرفة الفسيفساء لم تنقطع على مدار التاريخ والعصور، لذلك بقيت مستمرة وشاهد عليها تسلسل الحضارات في فلسطين، واليوم ومع التطور والتقدم، تطورت هي أيضا كحرفة من حيث الاداء والخامات ، فأصبحت تظهر لنا بتصاميم متنوعة ومختلفة تواكب الحياة الحديثة، فلم تكن فقط مهارة يمكن ان تغيب عن العمل الفني، لا بالعكس فقد حرص الفنانون على ان تبقى موجودة لروعتها التي تتحلى بها، بالإضافة الى الاهتمام بالموروث، والحرص على ان نبقي على الفن القديم ونجدده وان يبقى حاضرا بيننا، فظهرت الفسيفساء في القصور من خلال استخدامها في الاعمدة والجدران والارضيات، لتظهر بتصميمات وتكوينات غاية في الجمال، وليس هذا فقط وانما ايضا في حمامات السباحة، فأصبحت تضفي للمكان فخامة وقيمة فريدة بالإضافة الى التميز والانفراد. شكل (12)

**تزيين الجدران في الفسيفساء (شكل 12)**

واليوم هناك متخصصين في عمل الجداريات واللوحات التي يبحث عنها المغرمون بهذا اللون من الفنون، ليقتنوها كتحفة فنية في بيوتهم، فيمكن ان يطلب تصميم خاص بالشخص، او ان تعرض اللوحات بمعارض خاصة للبيع، وتكون بمبالغ باهظة، تقديرا لقيمتها وتميزها. فالفسيفساء من الحرف التراثية الاصيلة، فهي شاهدة على عراقة الموروث الفلسطيني وركن مهم في الحملات للحفاظ عليه، فهي تأتي من منطق ان من لا تاريخ له لا حاضر له، لذلك يقع على عاتق المؤسسات الحكومية والاهلية وحتى الاشخاص الموهوبون والحرفيون، مسؤولية الحفاظ على كافة اشكال المهارات والحرف الموروثة ومنها حرفة الفسيفساء، والتي تعبر عن عراقة امتنا وعمق تاريخها.

## المحور الثاني : الزجاج ودوره في العمارة الداخلية:

في القرن الاول بعد الميلاد ارخ الكاتب الرومتني بلينيوس، بان اول انتاج للزجاج والذي جاء بالصدفة، عمره من خمسة الاف سنة قبل الميلاد، وكان على السواحل الشرقية للبحر الابيض المتوسط ويعتقد انه في مدينة عكا شمال فلسطين، حيث حطت سفينة هناك عليها بحارة فينيقيين ولم يجدوا ما يشعلوا به النار الا حجارة من الصودا، ومع ارتفاع الحرارة تحولت الصودا الى مادة سائلة خلطت بالرمل، ليتكون بذلك الزجاج. ولكن العلماء لم يؤكدوا صدق الرواية، وانما ما هو اكيد انه عثر على قطه من الزجاج صغيرة الحجم كانت في العراق ومصر، وترجع الى 3500 قبل الميلاد[x].

وفي العصر الروماني ازدهرت صناعة الزجاج مع توفر الخامات الاساسية له وهي الرمل، فهو موجود على طول الساحل الفلسطيني لأكثر من 360 كلم طول، ويذكر ان الافران كانت تقام كبيرة الحجم في مناطق بعيدة عن مراكز المدن لإنتاج العجينة، ومن ثم يتم نقلها الى مراكز المدن الى مشاغل صغيرة يتم فيها تشكيل الزجاج، وخلال التنقيب عن الاثار وذلك مع بداية القرن الاول للميلاد، عثر في مدينة القدس على بقايا انابيب من الزجاج وقليل من الادوات التي كانت تستخدم في مشغل لتشكيل الزجاج، بالإضافة الى ادوات النفخ ( شكل13) .

**النفخ في الزجاج شكل (13)**

وان المتخصص في الفراغ الداخلي لا يغيب عن خاطره الزجاج ودوره في تكوين تكاملي للفراغ الداخلي، فالزجاج منذ الازل، ومن يوم اكتشفه الانسان على الارض، اصبح هذه الخامة المهمة والتي تدخل في المعالجات المعمارية عدا طبعا الانية المنزلية[xi]. ومع تطور الانسان بدا يطور بيئته الداخلية سواء السكن او مكان العمل او المرافق العامة المختلفة من محلات تجارية ومدارس ومستشفيات .. الخ (شكل 14)، وكان همه تكوين توافق ما بين البيئة المحيطة والوظيفة التي ستحققها له، وبما ان الفراغ الداخلي يشكل هذه البيئة الكبيرة والشاملة، فكانت هي من جسدت القيم الجمالية الروحية والاحتياجات ايضا التي تخدم الانسان، والتصميم الداخلي تنوعت مدارسه واختلفت باختلاف الثقافات والعادات والتقاليد والطبيعة الجغرافية ، وبرغم هذا التنوع الكبير الا انها جميعا كانت تهدف الى ترتيب الاسس والعناصر للفراغ الداخلي لتحقق هدف المنفعة والجمال، ولتلبي في النهاية الغرض الذي صممت من اجله[xii].

**الزجاج في القواطع الداخلية شكل(14)**

ويعتبر الزجاج من اقدم الخامات التي استعملها من سبقونا من قديم الزمن، فكان في البداية استخداما من الطبيعة مباشرة، حيث كان الزجاج يتكون مع العوامل الجوية ويطلق عليها السيح او الزجاج البركاني، وبدأت بعدها فكرة التصنيع للزجاج لتتدخل اليد البشرية في ذلك، وكانت اولى التقنيات استخدام الانبوب والذي ينفخ فيه ليتم تشكيل ذلك الزجاج بأشكال وانواع مختلفة الاستخدامات وكان ذلك في القرن العاشر للميلاد، ومع بدء هذه التقنية بدا التطور يأخذ مجراه في هذه الحرفة تدريجيا، وكان باستخدام بلاطات صغيرة من الزجاج من وحي الفسيفساء ليشكل من خلالها الواح تستخدم لسد النوافذ ، ولتتطور فيما بعد ليتم سكب الزجاج على شكل الواح كبيرة، تستخدم للفتحات المعمارية من نوافذ وابواب وغيرها من الاستخدامات للعمارة الداخلية والخارجية.

ومع استخدام الواح الزجاج بدأت فكرة تحسين المظهر لها ليناسب الاذواق المختلفة في معالجة الفراغ الداخلي ، فدخلت تقنية الرسم على الزجاج بموضوعات مختلفة منها الادمية والحيوانية والخطية والزخرفية والهندسية والنباتية (شكل 15)، وكلها كانت توظف لخدمة الفراغ الداخلي حسب استخدامه، فكانت الزخارف الهندسية والكتابية والنباتية تستخدم في المساجد مثل المسجد الاقصى المبارك، والادمية والحيوانية في القصور مثل قصر جاسر في بيت لحم ، وايضا في الاماكن العامة مثل الاسواق والابنية الحكومية وغيرها[xiii].

**الرسم على الزجاج شكل (15)**

**عناصر الزخارف الزجاجية واشكالها:**

1- العناصر النباتية: يرتبط هذا العنصر بإعطاء صورة عن الحياة وديمومتها من خلال الخطوط الملتوية للأغصان والتي تتداخل مع الزخارف سواء الهندسية او الكتابية.

2- العناصر الهندسية: وتشمل الاشكال الهندسية المختلفة والتي تشكل منها الزخرف الهندسي الاسلامي ومنها المربعة الشكل والمستطيلة والاشكال النجمية والشبكية.

3- العناصر الكتابية: وتعتبر الزخرفة الخطية سابقة في الفن الاسلامي فهي التقنية التي انفرد بها، وبعدها انتقلت للعالم، وتفنن الفنان المسلم بالكتابة الخطية، فاخترع مجموعة من الخطوط منها الخط الرقعي والنسخي والهندسي والديواني الى اخره من الخطوط الجميلة ، فادخل معها اوراق النباتات وتشكلت بأشكال مختلفة .

4- العناصر الحيوانية: اهدافها كانت رمزية ولم تحاكي الحيوانات مباشرة، انما كانت تجريدية وهدفها الايحاء بالقوة والجمال، فاستخدمت الطيور والخيول والغزلان وغيرها.

**الاساليب المختلفة للرسم على الزجاج ومجالاتها:**

تنوعت الاساليب لتصنيع الزجاج والذي يستخدم في اعمال التصميم الداخلي ومنها الرسم على الزجاج، حيث يرسم الشكل على ورقة ويوضع عليها لوح الزجاج، وتبدا عملية تغطية المساحات المحددة باللون المطلوب، ولهذه التقنية الوان خاصة لها شفافية مناسبة وتتميز بتحملها للعوامل الجوية، والطريقة الثانية هي تعشيق الزجاج، حيث يحدد الشكل على قاعدة مكونة من مجموعة من خيوط الرصاص وتوزع قطع الزجاج داخل الفراغات والتي تكونت بين الخطوط، بذلك يتم حفظ قطع الزجاج وتشكل الخيوط حدود داعمة وحماية لقطع الزجاج، وفي هذه الطريقة نحتاج الى صيانة دائمة لأنها لا تعمر طويلا وتتأثر بالعوامل الجوية وهي مكلفة ايضا ماديا . وهاتان الطريقتان تعتبران من اهم الطرق التي ترفع القيمة الجمالية للفراغ الداخلي وتعطي للمكان قيمة لترتقي به ليحقق بوجوده تكامل التصميم العام للفراغ[xiv].

لذلك فان المنظومة المتكاملة للتصميم لا تأتي الا اذا كانت هناك علاقة لتصميم اشكال الالواح الزجاجية مع الفراغ الداخلي المعماري، بحيث تتميز في عناصرها وابعادها لتاتي بصورة منسجمة متكاملة غايتها تحقيق الوظيفة التي وجدت من اجلها.

والزجاج في الفراغ الداخلي في العمارة الفلسطينية اخذ مساحة كبيرة في الاستخدام والتنوع والتفنن في تطبيقه على عناصر عدة منها الجدران والاسقف والشبابيك والابواب، ويعتبر بناء مسجد قبة الصخرة الشريفة في الاقصى المبارك (شكل16) من اجمل الامثلة التي لا زالت شاهدة على هذا اللون من الحرف الجميلة والمميزة في فلسطين، فقد كانت النوافذ من اهم ركائز البناء فيه، وكان لها اهتمام خاص كونها هي مصدر الانارة والتهوية، وهي تعلب الدور الاساسي في اظهار واجهة المكان سواء من داخل المبنى او خارجه، لذلك لم يبقى الدور على عاتق المعماري او مقاول البناء فقط، انما تدخلت يد الفنانين بالذات في زخرفة النوافذ بحيث ظهرت كلوحة فنية علقت على الجدار.

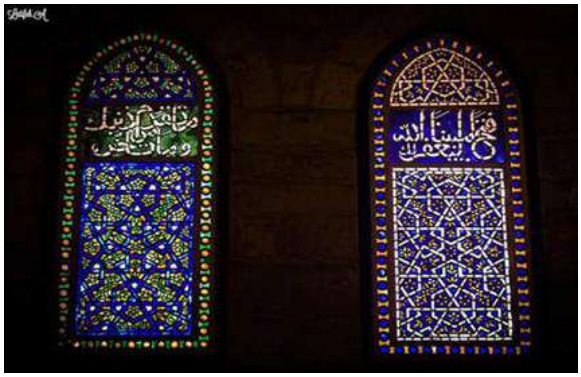

**زجاج الشبابيك شكل (16)**

من هنا ظهر في فلسطين فنانين متخصصين في هذا اللون من الحرف، فعملوا على تطويره لكي ينسجم من الفكر الاسلامي والذي ينادي بالتحريم في محاكاة الاشكال الادمية والحيوانية، فجاءت الزخارف على اشكال هندسية ونباتية وخطية وخاصة القرآني والكوفي والنسخي. فالنوافذ اخذت اشكالا عدة هندسية منها الدائرية والرباعية والسداسية، حيث جاءت بشكل التزم بالنظام الهندسي مع الخطوط لتعمل على الحفاظ على الجاذبية في التصميم الفني ، من هنا جاء الانتاج الفني مدروسا ومنظما وليس عشوائيا وعبثيا، مع الحفاظ على السمة التجريدية التي توصلنا الى تصميم لافت للنظر ومميز. (شكل17).

**التنوع في زخارف الانية شكل(17)**

الزجاج كحرفة في فلسطيني وفرت طريقا لفن فريد يحقق الابداع والمتعة للمشاهد (شكل18)، فخلط الالوان وتنوعها وبأشكال متعددة حولت انتاجها الى معارض فنية محسوسة في الحياة العادية، وجزء من الفراغ الذي يعيش فيه الفرد ويستخدمه من جوامع ومدارس وبيوت، هذه التجربة البصرية التي صنعت تواصلا فنيا امتد الى عمق الحضارة الاسلامية. وبرغم ان التصميم كان اشبه بلوحة متكاملة الالوان والتصميم الا ان اضفاء اضاءة صناعية عليها مع عناصر الاثاث والستائر والسجاد صنعت منها تكوين متكامل لجعل الفراغ يوحي بالدفء والراحة.(شكل 19).

**الابداع في التصميم الزجاجي شكل (18)**

**الاضاءة مع الديكور الداخلي شكل(19)**

## الحفاظ على الموروث والهوية الفلسطينية

تعتبر القيمة الوجودية والتاريخية والنضالية والوجدانية اساس للمحافظة على أي امة وحضارة، وتبذل الشعوب لها الغالي والنفيس لتعزز من وجودها ولتربطه بارضها، وتعتبر فلسطين من البلدان التي تعيش تحدي كبير لأجل ذلك ، في تتعرض للإبادة من كافة النواحي سواء البشرية او المادية المتمثلة في العمارة والحرف والثقافة والى كافة مناحي الحياة فيها[xv].

لذلك بات المحافظة على الموروث والهوية الفلسطينية حاجة ملحة في عقيدة الفلسطيني، لأنها توثق اصوله وانه شعب هذه الارض منذ الازل. وبما ان التراث الفلسطيني هو البوتقة التي تصب به الثقافة والهوية الفلسطينية، بدأت العديد من المؤسسات الوطنية والخاصة بان تسلط الضوء على الموروث الفلسطيني كواحد من اهم مقومات الهوية الفلسطينية. ولم تكن الهوية الفلسطينية ونموها بالحدث الفجائي، ولكنها اتت على مراحل ارتبطت بأحداث تاريخية ومفاصل مهمة في التاريخ الفلسطيني، بحيث اصبحت بهذه الصورة التي هي عليها الان، فقد عاش الشعب الفلسطيني سلسلة من الازمات المتلاحقة وخاصة في القرن الاخير، والتي كان لها الدور في تشكيل الهوية للشعب الفلسطيني. ولكن وبالرجوع الى التاريخ فان الهوية الفلسطينية بدأت ملامحها مع الكنعانيين، وتدرجت على مر العصور حتى نضجت بصورتها في القرن العشرين، هذه القرن الذي شهد الازمات المتلاحقة للشعب الفلسطيني، وبداية تهديد وجوده مع الحركة الصهيونية، بالتحديد سقوط الدولة العثمانية ونهاية الحرب العالمية الثانية، وتفكيك الارض العربية الى دول عدة[xvi].

ترتبط الهوية بالوجود للإنسان على ارضه، لذلك كانت الهوية دائما والمحافظة عليها الهم الاكبر للمفكرين الفلسطينيين، وبقيت هي محل اهتمامهم لتعزيز فكرة الوجود وان للأرض اهل لها، فكان من اهم الادوات التي استخدمت لذلك المباني المعمارية الشاهدة على اصالة اهل هذه الارض[xvii]، بالإضافة الى الحرف والصناعات المختلفة من نسيج وتطريز وخزف وفسيفساء وزجاج وصناعة الجلود ... الخ.

## النتائج والتوصيات

1. تعطي الحرف التقليدية ومنها الفسيفساء والزجاج قيمة جمالية توحي بالأصالة كونها ترتبط بالبيئة القريبة للإنسان واهتماماته.
2. ان معظم الاشكال التي يتكون منها تصميم الفسيفساء والزجاج تعطي اتجاه الحركة والتي تأتي ضمن تصميمات تعزز الفراغ الداخلي، لذلك تطورت تصميمات الفسيفساء والزجاج لتتناسب مع مكونات التصميم الداخلي للفراغ.
3. ان الفراغ الداخلي يتكون من مجموعة من العناصر يشكل ارتباطها شكليا ووظيفيا الدور الاساسي في رفع القيمة الجمالية للفراغ، وان انسجامها وتناسبها كعناصر للتصميم تعزز الفكرة الاساسية لنجاح التصميم.
4. على المصمم اختيار الالوان والتصميم المناسب عند استخدام الفسيفساء والزجاج، والذي يأتي ضمن الاستراتيجية التي اتبعها في التصميم للفراغ الداخلي لتحقق الهدف ضمن الانسجام اللوني المتكامل، لان أي عبث في اختيار الالوان سيؤدي الى تشتت النظرة اللونية للفراغ.
5. تعتبر الوحدة والتماسك في عناصر العمل الفني هي الاساس لعملية التقييم الجمالي، حيث يشكل الفراغ الداخلي الاطار العام لها والذي من خلالها تفهم الافكار التي استخدمت في التصميم، ومدى تحقيقها للموضوع الاساسي للفكرة المراد تحقيقها.

6. لكي نصل الى الادراك للعمل الفني يجب ان تكون عناصر العمل الفني مفهومة وواضحة ، لان الادراك يأتي من نشاط جديد ومبتكر، وايضا من عمل تصميمي جديد ليس له نسخة ثانية، فهو استخدام نفس الخامات ولكن بإعادة تشكيلها بصورة مغايرة عن ما هو تقليدي ومتعارف عليه.
7. لا يمكن ان تصل الى الابداع في العمل الفني الا من خلال التكوينات الواقعية من خلال التعامل مع الامور الحسية والمادية، والتي نلمسها من خلال ما هو موجود في العمارة الداخلية ، وللوصول الى الفكرة يجب معرفة الفراغ الداخلي جيدا ومعرفة وظيفته والهدف منه، وشكل البناء الخارجي وتصميمه، لان كل ذلك سيساعد المصمم على بلوة الفكرة المناسبة لهذا الفراغ ليصل في النهاية الى الربط بين القوى التعبيرية بين عمله الفني، ومعالجة الفراغ الداخلي وبطريقة تعبر عن ربط واقعي بينهم.
8. تعرضت الهوية الفلسطينية الى نكبات وتحديات كبيرة وعلى راسها الاحتلال الإسرائيلي، والذي اثر على على دورها في مراحل التاريخ الفلسطيني المتتابعة، لذلك كان لزاما الاهتمام بها من جميع النواحي لان لها الدور الاساسي في تحقيق احتياجات الشعب الفلسطيني وترسخ ارتباطه بارضه التي يعيش عليها.

## الخلاصة

تعتبر الفسيفساء والزجاج من اجمل التكسيات المعمارية، والتي تستخدم لتعزيز قيمة الواجهات والفضاءات الداخلية، حيث ان دورهما لا يقتصر على تجميل الاسطح والفراغات فقط، بل ان لهما وظيفة مهمة وهي العمل على تقليل انتقال الحرارة من خلال جدران البناء، وتزيد قيمتها عندما يتم تركيب الحوائط المزدوجة التي ترفع من قيمة الوظيفة للخامة، ناهيك عن ان التكسيات المعمارية بخامة الخزف والزجاج ترفع من قيمة المبنى وتجعله مؤثر، وتعمل عمل شد الانتباه للبناء مثالها: استخدامها في دور السينما او المسارح او الاماكن العامة، حيث ان ترتيبها بنمط واسلوب معين يجعل منها لوحة اعلانية للمكان.

وبقيت الفسيفساء والزجاج من الخامات التي لها وزنها رغم مرور الاف السنين على استخدامها، وايضا مع وجود العديد من الخامات الحديثة من اللدائن وغيرها، الا انها لم تطغى عليها ولم تأخذ مكانها في الاستخدام ، فهي خامات متجددة وفي كل مرة نرى فيها ابداع مصممين يجدون بها الخامة التي تلبي حاجتهم من عمل تصميم يليق بان يكون مميز عن غيره من الخامات. ورغم اختلاف محددات التصميم والتي تأتي مرتبطة مع المحددات البيئية المختلفة، الا انها كانت دافع للتميز والتجديد في كل مرة .

ولعل من اهم الاسباب التي تدفع المصممين الفلسطينيين الى اعتبار خامتي الزجاج والفسيفساء على راس الخامات التي يدرجونها ضمن اعمالهم، ارتباطها بالهوية وتجذره، كونها خامات منذ الازل ولها موقعها من ايام الكنعانيين الاوائل في فلسطين حتى تاريخنا هذا ، مما جعلها محط الاهتمام بالحفاظ عليها من خلال توظيفها في اهم الاعمال الفنية، واطلاقها في المعارض المحلية والاقليمية والعالمية، لتعبر عن موروث ذو قيمة عالية لهذا الشعب الذي يناضل على ارضه ويعمل على الحفاظ عليها بكافة الوسائل.

**المصـــــــادر :**


1. سهيل، منى عبد السالم:« علاقة الفن التشكيلي بالعمارة العربية الإسلامية»، كلية الهندسة المعمارية-جامعة بغداد، رسالة ماجستير، العراق،1988.
2. الشال، عبد الغني النبوي: «مصطلحات في الفن والتربية الفنية»، المملكة العربية السعودية،1984.
3. فينتوري، ليونيللو:«كيف نفهم التصوير»، ترجمة محمد عزت مصطفى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.1967.
4. كبه، شامل عبد الأمير: «اللون النظرية والتطبيق»، مطبعة الأديب البغدادي، العراق، .1992
5. البلداوي،محمد ثابت واسيل عبد السلام: «تكنولوجيا الخامات واستخداماتها في التصميم الداخلي»،بغداد،العراق،2003.
6. بريسون، أج.أر: «تكنولوجيا الزجاج»، ترجمة أمل فاضل ،سرمد، دار الرشيد للنشر ،بغداد،العراق،1982.
7. حسن، محمد حسن: «الأصول الجمالية للفن الحديث»، دار الفكر، القاهرة، 1997.
8. حكيم، راضي: «فلسفة الفن عند سوزان الجنر»، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلان، بغداد، .1986
9. خالص، أمل صلاح عبد الرحمن: «العمل الفني التشكيلي بين التذوق الجمالي والنقد، تحليل نماذج من الفن العراقي المعاصر»، رسالة ماجستير كلية الفنون الجميلة-جامعة بغداد، العراق، 1997.
10. ريد، هربت:«تربية الذوق الفني»، ترجمة يوسف ميخائيل اسعد، دار العلم، بيروت،1975.
11. صليبيا، جميل:«المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية»، دار الكتاب اللبناني، ج1، بيروت،1973.
12. ابو العلاء،سعود محمد،«المحاكاة البيولوجية وتطبيقاتها في الشكل المعماري والعمارة الداخلية» مجلة العمارة والفنون العدد السابع مصر 2017
13. العثباوي، راتب مزيد: «المعايشة الجمالية، دراسات فكرة جمالية تبادل العلاقات بين الإنسان والاشياء والفن»،دار الينابيع، دمشق، 2004م .
14. مايرز، برنارد: «الفنون التشكيلية وكيف تذوقها»، ترجمة د. سعد المنصور وسعد القاضي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1966.
15. هيكل :«الفن الرمزي»، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط2، بريوت،1979.
16. أحمد الدبش، "جذور الهوية الفلسطينية منذ أقدم العصور، "*مجلّة صامد الاقتصادي*، العدد 141 (2005): ص.ص11-18.
17. عصام نصار، "رشيد الخالدي، الهويّة الفلسطينيّة: تكوين الوعي الوطني المعاصر، "*مجلة السياسة الفلسطينية*، مجلد 4، عدد 18 (1998): ص185.


[i] محمد البشتاوي، "الهوية الوطنية الفلسطينية في مئة عام (1907-2007)،" مؤتمر الهوية الفلسطينية .. إلى أين؟ (البيرة: مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني في جمعيّة إنعاش الأسرة، 2008.(

[ii] البلداوي، محمد ثابت و أسيل عبد السلام :"تكنولوجيا الخامات واستخداماتها في التصميم الداخلي"، بغداد، العراق ،2003.

[iii] سهيل، منى عبد السالم:« علاقة الفن التشكيلي بالعمارة العربية الإسلامية»، كلية الهندسة المعمارية–جامعة بغداد، رسالة ماجستير، العراق،1988.

الشال، عبد الغني النبوي: «مصطلحات في الفن والتربية الفنية»، المملكة العربية السعودية،1984.

[v] راسموسين، ستين أيلر:«الإحساس بالعمارة»، ترجمة رياض تبوني، الجامعة التكنولوجيا، مركز التعريب والنشر، بغداد ، العراق،1986.

[vi] بني الدير على يد القديس جيراسيموس عام 455 ميلادي، وهو قريب من نهر الأردن، يوجد في الدير كهف أو مغارة يعتقد أن العائلة المقدسة استراحت في هذه المغارة، وهي في طريقها الى مصر هاربة من هيرودوس الذي قتل أطفال بيت لحم

[vii] صليبيا، جميل:«المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية»، دار الكتاب اللبناني، ج،1 بيروت،1973.

[viii] العثباوي، راتب مزيد: «المعايشة الجمالية، دراسات فكرة جمالية تبادل العلاقات بين الإنسان والاشياء والفن»،دار الينابيع، دمشق، 2004م .

[ix] ابو العلاء،سعود محمد،«المحاكاة البيولوجية وتطبيقاتها في الشكل المعماري والعمارة الداخلية» مجلة العمارة والفنون العدد السايع مصر 2017

[x] سهيل، منى عبد السالم:« علاقة الفن التشكيلي بالعمارة العربية الإسلامية»، كلية الهندسة المعمارية–جامعة بغداد، رسالة ماجستير، العراق،1988.

[xi] بريسون، أج.أر: «تكنولوجيا الزجاج»، ترجمة أمل فاضل ،سرمد، دار الرشيد للنشر ،بغداد،العراق،1982.

[xii] ريد، هربت:«معنى الفن», ترجمة سامي خشبة، دار الشؤون الثقافية العامة،ط،2 بيروت،1986.

[xiii] مايرز، برنارد: «الفنون التشكيلية وكيف تذوقها»، ترجمة د. سعد المنصور وسعد القاضي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1966.

[xiv] راسموسين، ستين أيلر:«الإحساس بالعمارة»، ترجمة رياض تبوني، الجامعة التكنولوجيا، مركز التعريب والنشر، بغداد ، العراق،1986.

[xv] أحمد الدبش، "جذور الهوية الفلسطينية منذ أقدم العصور، "*مجلّة صامد الاقتصادي*، العدد 141 (2005): ص.ص11–18.

[xvi] عصام نصار،"رشيد الخالدي، الهويّة الفلسطينيّة: تكوين الوعي الوطني المعاصر، "*مجلة السياسة الفلسطينية*، مجلد 4،عدد 18 (1998): ص185.

[xvii] شريف كناعنة، "نحو دولة فلسطين المتخيلة،" في *الهوية الفلسطينية .. إلى أين؟* تحرير شريف كناعنة. (البيرة: مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني في جمعيّة إنعاش الأسرة، 2009)، ص.ص243–244.